قرب القيامة وخراب الدنيا فهو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض
بين النصين الجواب الثاني ان المراد جعل اهلها امنين كقوله تعالى واسأل القرية
اي اهلها وهذا الجواب عليه اكثر المفسرين وعلى هذا فقد اختص اهل مكة
بزيادة الامن في بلدهم كما اخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم واهل مكة
امنون من ذلك حتى من التجا الى مكة امن على نفسه وماله وحتى ان الوحوش اذا كانت
خارجة الحرم استوحشت واذا كانت داخلة الحرم استأنست لعلمها انه لا يهيجها
احد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها **واجنبني** اي بعدني
وبني ان اي عن ان **نعبد الاصنام** اي اجعلنا في جانب غير جانب عبادتها فان
قيل الانبيا عليهم الصلاة والسلام معصومون فما الفائدة في قوله اجنبني
عن عبادة الاصنام اجيب بانه عليه السلام انما سأل ذلك هضما لنفسه واظهارا
للحاجة والفاقة الى فضل الله في كل المطالب وفي ذلك دليل على ان عصمة الانبياء
بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم فان قيل كان كفار قريش من ابنائه مع انهم كانوا
يعبدون الاصنام فكيف اجيب دعاؤه اجيب بان المراد من كان موجودا حال الدعا
ولا شبهة ان دعوته كانت مجابة فيهم او ان هذا الدعا مخصوص بالمومنين
من اولاده والدليل عليه انه قال عليه السلام في اخر الاية فمن تبعني فانه مني
وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ونظيره قوله تعالى انه ليس
من اهلك انه عمل غير صالح والصنم المنحوت على خلقة البشر وما كان منحوتا على
غير خلقة البشر فهو وثن قاله الطبري ولذا لما سئل ابن عيينة كيف عبدت العرب
الاصنام فقال احد من بني اسمعيل صنما واحتج بقوله تعالى واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام انما كانت انصاب الحجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيث نصبنا حجرا فهو
بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر اي يطوفون به اسابيع تشبيها بالكعبة
ويسمونه الدوار بضم الدال مشددة وقد تفتح قال الجوهري دوار بالضم
صنم وقد تفتح واستحيان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت قال الرازي وهذا
الجواب ليس بقوي لانه عليه السلام لا يجوز اذ يريد بهذا الدعا الا عبادة غير الله
والحجر كالصنم في ذلك ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم انه قال **رب انهن** اي
الاصنام **اضللن كثيرا من الناس** بعبادتهم لها تنبيه اتفق كل الفرق على ان قوله
اضللن مجاز لانها جمادات والجماد لا يفعل شيا البتة الا انه لما حصل عند عبادتها
اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها ثم قال **فمن
تبعني** اي على التوحيد **فانه مني** اي فانه جار مجرى بعض لفرط اختصاصه بي
وقربه مني **ومن عصاني** اي في غير الدين **فانك غفور رحيم** وهذا صريح في طلب
الرحمة والمغفرة لاولئك العصاة واذا ثبت حصول هذه الشفاعة في حق ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ثبت حصولها في حق محمد صلى الله عليه وسلم لانه مامور
بالاقتدا به كما قال واتبع ملة ابراهيم وقيل ان هذا الدعا كان وقيل ان هذا الدعا

كان

كان قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك وقيل انك قادر ان تغفر له وترحمه بان تنقله عن
الكفر الى الاسلام وقيل المراد من هذه المغفرة ان لا يعاجلهم بالعقاب فلا يمهلهم حتى
يتوبوا قال الرازي واعلم ان هذه الاوجه ضعيفة وارتضي ما تقرر اولا تنبيه
حكى الله سبحانه وتعالى عن ابراهيم عليه السلام في هذا الموضع انه طلب من الله تعالى
سبعة امور الاول طلب من الله تعالى نعمة الامان وهو رب اجعل هذا البلد امنا وهو
رب اجعل هذا البلد امنا المطلوب الثاني ان يرزقه الله تعالى التوحيد ويصونه عن
الشرك وهو قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والمطلوب الثالث قوله تعالى
ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول على
هذا القول وهم اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم **بواد**
اي هو وادي مكة المشرفة لكونه في فضا منخفض بين جبال تجري فيه السيول
غير ذي زرع اي لا يكون فيه من الزرع قط فانه حجري لا ينبت كقوله تعالى قرانا عربيا
غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج **عند بيتك المحرم** اي الذي حرمت التعرض له والتهاون
به وجعلت ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشي المحرم
الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم
على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه او لانه امر
الصائرين اليه ان يحرموا على انفسهم اشيا كانت تحل لهم من قبل او لانه حرم موضع
البيت حين خلق السموات والارض وحفه بسبعة املاك وهو مثل البيت المعمور
الذي بناه ادم فرفع الى السما السادسة وروي ان هاجر كانت امة لسارة فوهبتها
لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل فقالت سارة كنت اريد ان يهب لي ولدا
من خليله فتغيبه ورزقه خادمتي وغارت عليهما وقالت لابراهيم بعدهما مني وناشدته
بالله ان يخرجهما من عندها فنقلهما الى مكة واسماعيل رضيع حتى وضعهما عند البيت
عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما
هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام
اسمعيل وقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انس ولا
شي فقالت له ذلك مرارا وهو لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم
قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه
استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلا الدعوات ورفع يديه وقال ربنا اني اسكنت
من ذريتي حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الما حتى
اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال
يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض
يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى من احد فلم تر احدا ففعلت ذلك
سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما
اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)